مُقَدِّمَة

اهتمَّ القدماءُ اهتماماً شديداً بجمْعِ الشِّعْرِ والنَّثْرِ، وصُنْعِ مختاراتٍ منهما في العُصُورِ المُتعاقِبَة، ولهم في ذلك كتبٌ كثيرةٌ مَشْهُورةٌ.

وعُنِيَ فريقٌ من المُحْدثين بهذا الأمْرِ، وبَذَلُوا فيه جُهُوداً كبيرةً مَوْصُولةً، ووَضَعُوا فيه كُتُباً غير قليلة، تَتفاوَتُ في القيمة والفائدة.

وقد فكَّرْتُ منذُ حين أنْ أجْمَعَ النَّثْرَ الأُمَويَّ، وكنتُ أظُنُّ أنَّ ذلك عَمَلٌ سَهْلٌ يسيرٌ، فلمَّا شَرَعْتُ فيه تَبيَّنَ لي أنه عَمَلٌ صَعْبٌ عسيرٌ، إذ يَحْتاجُ إلى إحاطة بمَصادِرِ النَّثْرِ ومَظَانِّه المُخْتلفة، ويَسْتَدْعي مَعْرفةً دقيقةً بفُنونه وأعْلامه وآثارهم المَحْفُوظة، ويَتَطَلَّبُ بَصَراً ثاقباً يُمكِّن من تَصْنيفه واختيارِ أجْودِ نُصُوصه وأدَلِّها على أهمِّ جوانبِ الحياة في العَصْرِ الأُمَويِّ.

واستَقرَّ في نَفْسي أنَّ تأليفَ كتاب أخَفُّ وأهْوَنُ من جَمْعِ الشِّعْرِ والنَّثْرِ، واخْتيارِ شيءٍ منهما في فَنٍّ بعيْنه. وقد أدْرَكَ ابنُ عبدِ ربِّه ذلك منذُ زمَنٍ بعيد، فذكرَ في مُقدِّمة «عِقْده» أنَّ «اخْتيارَ الكلامِ أصْعَبُ من تأليفه»!

ولكنَّ ذلك لم يُوهِنْ عَزيمتي، ولم يَصْرِفْني عن غايتي، فقد مَضَيْتُ أجْمَعُ الخُطَبَ والرَّسائلَ في ذلك العَصْرِ، وأنْظُرُ فيها وأُصَنِّفُها وأُمَيِّزُ بينَها، حتى استْقامَ لي قَدْرٌ كبيرٌ منها، وقد رأيتُ أنْ أجْعَلها في كتابَيْن: الأوَّلُ للخُطَب، والثَّاني للرَّسائل.

وهذا هو الجزءُ الأوَّلُ من كتاب: «جَمْهَرة الخُطَب الأُمَوِيَّة»، وهو يَشْتَملُ على خُطَبٍ سياسيَّة لخُلفاء بني أُمَيَّة وعُمَّالهم، وللأحْزاب والجماعات المُعارضة من خَوارِجَ وشِيعةٍ وزُبَيْرِيِّين وثُوارِ أشْرافِ العَرب، كما يَشْتَملُ على خُطَبٍ ومَواعظَ دينيَّة لخُلفاء بني أُمَيَّةَ وأُمرائهم وعُمَّالهم، وللخوارجِ والقَدَريَّة ولزُهّاد أهْلِ الشَّامِ ولغيرهم من أصْحابِ التَّجْربة والمَعْرفة، أو العِلْمِ والفِقْهِ من أهْلِ الأمْصارِ المختلفة، وللحسَنِ البَصْريِّ.

وأثْبتُّ أكْمَلَ الرِّوايات وأدَقَّها لكلِّ خُطْبةٍ من الخُطَب التي جَمَعْتُها، دونَ مُراعاةٍ لِتقدُّمِ مَصْدَرِها أو تأخُّره، فإنَّ المَصَادرَ المُتَأخِّرةَ قد تحْتَوي على الخُطْبةِ بتمامِها، وأمَّا المَصادرُ المُتقدِّمةُ فقد تحْتَفِظُ بجزءٍ منها.

و لم أُوَحِّدْ مَتْنَ أيِّ خُطْبةٍ، و لم أُداخِل بينَ رواياتِها المُخْتلفةِ، لما في ذلك من تَشْويهٍ للرِّوايةِ الأدبيَّةِ والتَّاريخيَّةِ، بل أبْقَيْتُ على صُورَتِها في المَصْدَرِ الذي أخَذْتُها منه، فَذكَرْتُهُ أولاً، ثم أتْبَعْتُهُ بسائرِ مَصَادِرِها على التَّرْتيب.

وأصْلَحْتُ ما حُرِّفَ من ألفاظ الخُطَب وتراكيبها، وأشَرْتُ إلى بعضِ ما أصْلحْتُهُ منها، لأنَّه قد يَحْتَمِلُ وُجُوهاً أخرى من القِراءةِ وأمَّا ما لا يُخْتَلَفُ فيه منها فتركتُ الإشارةَ إليه.

وشَرَحْتُ كثيراً من ألفاظِ الخُطَبِ الغَريبةِ، وتَراكِيبِها الصَّعْبةِ، وعَوَّلتُ في ذلك على كُتُبِ المَعاجمِ والأمْثالِ والتفسير، وأفَضْتُ في الشَّرْحِ والنَّقْلِ عن تلك الكتب، ما اقتضتِ الضَّرُورةُ ذلك، لأوضحَ المَصادرَ الثَّقافيةَ والنَّزعاتِ الفَنيَّةَ للخُطباء، فإنَّ للنَّثرِ مُعْجَمهُ وتقاليدَهُ الفَنيَّةَ المَرْعيَّة، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الشِّعْرِ، وهو يَعْتَمِدُ على المجاز والصُّورة، ويَسْتَمِدُّ من الثَّقافةِ العَربيَّةِ والثَّقافةِ الإسلاميَّةِ، على تفاوتٍ بين الخُطباءِ في ذلك، فإنَّ لكلٍّ منهم ثقافَتَهُ ونَزعَتَهُ الخاصة.

ووَضَعْتُ لهذا الجزءِ ثلاثةَ فهارسَ: أوَّلُها للخُطباء، وثانيها للمَصادرِ والمَراجعِ، وثالِثُها للمُحْتَويات.

وأرْجُو أنْ يَسُدَّ هذا العَمَلُ بعضَ النَّقْصِ، وأنْ يَنْفَعَ بعضَ النَّفْعِ. والله أسألُ أنْ يُلْهِمني الصَّوابَ في القَوْلِ والعَملِ.

حسين عطوان